

برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (41)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم - الجزء (38)
الشاشة السابعة : شاشة ابليس - القسم (12)

السبت : 16 شوال 1439 - الموافق: 2018/6/30

❖ هذه هي الحلقة الـ (41) من برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديث حديث الولادة (ولادة القائم من آل محمد "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين") والشاشة هي الشاشة السابعة. ربّما تشعّب الحديث في إطار هذه الشاشة ولازال متواصلًا يتحرّك في نفس الاتجاه. الشاشات (السابعة، الثامنة، التاسعة) وهي المجموعة الثالثة من مجموعة الشاشات المتعددة التي جعلتها منطاً وطريقة في الحديث عن ولادة القائم "صلوات الله وسلامه عليه".

في هذه الشاشات (أعني الشاشات الملحقّة بالمجموعتين المتقدّمتين من الشاشات المتعددة) المضمون الذي يدور في هذه الشاشات هو المشروع الإيليسي الخبيث، جانب من تطبيقاته، حديث عن صُور عاقبة الذين خدموا ويخدمون هذا المشروع. ركّز الحديث في أجواننا الشيعيّة، ولازال الحديث في هذه الأجواء، حتّى وصلنا إلى الحديث عن (علم الرجال) والذي أسميته (علم القنادر) والقنادر هي الأحذية، لأنّ هذا الذي يُسمّى بـ "علم الرجال" يدوّن مراجعنا بواسطته أحاديث أهل البيت، وعلى وجه الخصوص ما عندنا من أحاديث شريفة في ولادة إمام زماننا.. يدوسها مراجعنا بأحذيتهم بما يُسمّى بـ "علم الرجال" وخصوصاً الوثائق المهمّة (وثيقة السيّد نرجس، وثيقة السيّد حكيمة، وثيقة سعد الأشعري القمي).

• في الحلقة الماضية بدأت محاكمة ما يُسمّى بعلم الرجال وفقاً لثقافة الكتاب والعترّة، وبدأت من آيات ومضامين الكتاب الكريم. خلاصة سريعة موجزة لِمَا مرّ في الحلقة الماضية بهذا الخصوص).

● آخر ما وصلنا إليه في الحلقة الماضية هي الآية 6 من سورة الحجرات:

يا أيّها الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسقٌ بنياً فتيّبوا أنّ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبّحوا على ما فعلتم نادمين.

وهي واضحة صريحة في رفضها لعلم الرجال ولكل ما يتحدّث عنه مراجعنا في هذه الأجواء.

• موطن الحديث في الشطر الأوّل من الآية الكريمة، قوله تعالى: {يا أيّها الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسقٌ بنياً فتيّبوا}

لن أقف طويلاً عند الذي يقوله مراجعنا بشأن هذه الآية، لأنّهم يتعاملون معها ومع سائر الآيات بهذا اللون من التعامل: أنّهم يعودون إلى كتب النواصب في التفسير أو في السيرة والتاريخ أو في علم الأصول، وعلى ضوء ذلك يصلون إلى ما يصلون إليه.. وأنا لا شأن لي بما يقوله مراجعنا وعلمائنا.. أكان صحيحاً أم لم يكن كذلك. ولكن بالمجمل حينما يكون الحديث عن خبر الثقة أو عن خبر غير الثقة فإنّهم يُسارعون بالإتيان بهذه الآية دليلاً على حُجّة خبر الثقة، وعلى صِحّة الاعتماد على خبر الثقة دون غيره.. مع أنّ الآية لم تتحدّث عن خبر الثقة، وإمّا الآية تحدّثت عن خبر الفاسق الحقيقي:

{يا أيّها الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسقٌ بنياً فتيّبوا}.

• الآية تُخاطب الذين آمنوا، وتتحدّث عن فاسقٍ يأتينا نبأ، بخبر، بحديث، بوثيقة، بمعطى من المعطيات.. الآية تقول: {فتيّبوا}

هناك احتمال في حديث الفاسق أن يكون الفاسق كاذباً، وهناك احتمال أن يكون صادقاً. ولذلك الآية قالت: {فتيّبوا} يعني تثبّتوا وتأكدوا.. والتبّيّن والتثبّت يكون في المتيّن وليس في سند الحديث، لأنّ سند الحديث معروف أنّه فاسق.

فلابدّ أن نبحت في مضمون المتيّن بما يُناسبه، فكلّ متيّن من المتون - بعض النظر أكان الحديث من أحاديث مُحمّد وآل مُحمّد أم من أحاديث غيرهم - كلّ خبر وكلّ متيّن من المتون نحتاج في التثبّت من مضمونه وفحواه نحتاج إلى مجموعة من المفردات والمعطيات، نحتاج إلى قاعدة معلومات تكون مُناسبة لموضوع ذلك النصّ.

فالآية واضحة.. فاسقٍ يأتينا نبأ، فإننا لا نردّه، وإمّا علينا أن نتأكد من مضمون المتيّن.. فهل هناك من قيمة لعلم الرجال؟!

• علمائنا بطريقة شيطانيّة - من دون قصد، وإمّا أخذوا هذه الطريقة من النواصب - يقفزون من هذا المنطوق الواضح والظاهر إلى ما وراء هذا المنطوق، فيقولون: هناك مفهوم للآية، ومفهوم الآية هو: **أنّه إذا جاءكم ثقة فلا تتبّنوا، وإمّا خذوا بخبر الثقة..!** فيتركون المنطوق ويقفزون إلى المفهوم..

وهنا سؤال: هل يمكن أن يكون في الكلام ما يُسمّى بالمنطوق؟ وهل يمكن أن يكون في الكلام ما يُسمّى بالمفهوم؟!

والجواب: نعم يمكن.. هناك في الكلام في لغة العرب وفي سائر اللغات، هناك ما هو منطوق وهذا المنطوق يُؤخَذ من الألفاظ.. أمّا المفهوم فهو ما وراء الكلمات.. مثلما يقولون: قراءة ما بين السطور، أو قراءة ما وراء السطور.. هذه هي قراءة في المفاهيم التي تترشّع من منطوق الألفاظ. هناك ألفاظ لها منطوق، وهذا المنطوق هو الذي تتحدّث عنه الكلمات (المكتوبة، المقرّوة، الملفوظة، المسموعة، المرئية بالعين) الكلمات المحسوسة.. هذا هو المنطوق. قطعاً مراد المتكلم بالدرجة الأولى هو هذا.. فإذا كان من حُجّة لهذا الكلام فالحُجّة الأولى تكون للمنطوق، أمّا المفهوم فإنّ حُجّته تأتي متأخّرة عن حُجّة المنطوق.

• في الثقافة الحوزويّة يقفزون على حُجّة المنطوق وهي الحُجّة الأولى ويذهبون إلى حُجّة المفهوم..! فما إن يكون هناك حديث عن خبر الثقة وعن خبر غير الثقة، رأساً يُؤيّد بهذه الآية من سورة الحجرات دليلاً على الاعتماد على أخبار الثقات فقط.. والآية لا يُوجد فيها هذا المعنى في منطوقها. علينا أولاً إذا كنا نبحت عن الحقيقة أن ندقّق النظر في منطوقها، لأنّ المنطوق هو الذي له الأولويّة وهو الذي له الحُجّة، ولذلك نطق الناطق به.

فأَيُّ ناطقٍ حين ينطق في الحالة الطبيعية التي ليست فيها استثناءات، فإنَّ الناطق الحكيم حين ينطق والذي يقصدُ قَصْداً واضحاً وحكيماً، هو يريدُ بالدرجة الأولى ما يدلُّ عليه المنطوق لا ما يدلُّ عليه المفهوم في الحالة الطبيعية غير الاستثنائية.

ونحن الآن أمام حالةٍ طبيعيّةٍ في التعبير ليست استثنائية.. آياتٌ قرآنيّةٌ أمرنا أن نتدبّر فيها وأن نأخذَ ديننا منها، وأن نتبصّر فيها، فهي آياتٌ جاءتْ بأسلوبها الطبيعي العادي الذي ينطقُ به الناطقُ الحكيم. إذاً المطلوب هو المنطوق وليس المفهوم، فلماذا يُعطى على المنطوق ويتمُّ التركيز على المفهوم؟! • مُشكلةُ الشيعةِ في ترتيب الأولويات، والذي قادهم إلى ذلك هو إبليس.. إبليس جعلَ أولوياتٍ مراجعنا في حالةٍ من الفوضى والاضطراب والتخبط، وهذا انعكس على الواقع الشيعي عموماً.. وإلا لماذا يقفزون من المنطوق إلى المفهوم؟!

هذا الأمر يعرفهُ طلابُ الحوزة العلمية الدينيّة في النجف وغير النجف.. حينما يكون الحديث عن الاعتماد على خبر الثقة أو غير الثقة مباشرةً يُوقُّ بهذه الآيّة وتُوضع في هذا قالب: أنَّ الآيّة تتحدّث عن الاعتماد على خبر الثقة وأننا لا نحتاج إلى التبيّن والتثبت.. والحال أنَّ الآيّة ليس فيها هذا المعنى - على الأقل في منطوقها -

منطوق الآيّة هو: أنّه إذا جاءنا فاسقٌ نبأً فعلينا أن لا نردّ هذا الخبر لكون الذي نَقَلَه فاسق، وإمّا نتبيّن هذا الخبر ونتأكّد من مضمونه.

• **سؤال يطرح:** إذا كان للآيّة من مفهوم، فهل يعني ذلك أننا نقبل خبر الثقة ولا نتبيّن مضمون خبره ولا نتحقّق من ذلك؟!

في الجوّ الثقافي الحوزوي الشيعي العام يُثيرون غباراً على المنطوق ويأتوننا بالمفهوم وكأنّه من المسلّمات..!

• **سؤال آخر:** هل هناك مفهومٌ لكل منطوق؟

الجواب: كلا.. لا نستطيع أن نقول بمثل هذه القاعدة، وإمّا القاعدة التي نستطيع أن تتمسّك بها بشكلٍ قطعيّ وبقيني هي أنَّ المنطوق بمضمونه وفحواه في حدود دلالاته المنطوقيّة هو هذا الذي يقصده أيُّ متكلّمٍ عاقلٍ حكيمٍ مُلتفتٍ إلى ما يقول وفي ظروفٍ طبيعيّة، وفي حالةٍ عاديّةٍ ليست استثنائية.

• في بعض الأحيان يكون للمنطوق مفهوم من خلال البنية اللغوية، ومن خلال الهيئة التركيبية للكلام وللجمل، ومن خلال الأساليب البلاغيّة والأدبيّة.. وهُنّا منطوقٌ في بعض الأحيان ليس له مفهوم، فالمتكلّم العاقل القاصد الحكيم الذي هو في حالةٍ طبيعيّةٍ وفي ظروفٍ ليست استثنائية يُريد المنطوق فقط، وهذا المنطوق من خلال بنيته اللغوية ومن خلال أسلوبه الأدبي لا يوجد به أي إشارة إلى أي مفهوم.

ولكن في بعض الأحيان يكون المنطوق بحسب بُنيته اللغوية، وبحسب تركيب الكلام وهيئته، وبحسب الأساليب البلاغيّة المعروفة بين أهل البلاغة والأدب هناك مفهوم، ولكن ليس بالضرورة أنَّ المُتحدّث الحكيم العاقل يُريد المفهوم أيضاً.. فلا بدّ أن ندرس هذا النص، وأن ندرس قصد المتكلّم، وأن ندقّق في الموضوع، حتّى نعرف هل أنَّ المتكلّم يُريد المفهوم مع المنطوق أو يُريد المنطوق فقط؟ (وكما بيّنت إنني أتحدّث عن مُتحدّثٍ حكيمٍ عاقلٍ قاصدٍ في ظروفٍ طبيعيّةٍ عاديّة)

• لا أريد أن أسهب كثيراً في هذه التفاصيل، إمّا أردتُ فقط أن ألفتَ أنظاركم إلى أنَّ أصابعَ إبليس تحرّك واقعنا الثقافي الحوزوي حينما تدفعُ الدارسين والباحثين في فهم هذه الآيّة، تدفعهم أصابعُ إبليس بعيداً عن المنطوق، فيتوجّهون إلى المفهوم.. وهُنّا نحنُ بحاجةٍ إلى دليلٍ يدلُّ على أنَّ هذه الآيّة لها مفهوم، وبخاصّةٍ إلى دليلٍ يدلُّ على أنَّ المتكلّم بهذه الآيّة يُريد المفهوم.. وبعد ذلك نأتي إلى دراسة تفاصيل المفهوم، وكُلّ هذا لا يحدثُ في واقعنا الحوزوي.. وإمّا هم مباشرةً يقفزون من المنطوق إلى المفهوم، لأنَّ إبليس يُريد أن يُثبتَ علَمَ الرجال بشكلٍ تلقائي في واقع مراجعنا وفي واقع حوزتنا العلميّة الدينيّة. لماذا يُهمَل المنطوق ويتمُّ التركيز فقط على المفهوم..؟! مع أنَّ القضية واضحة، المنطوق واضح، وينسجم مع حديث أهل البيت بشكلٍ واضحٍ علميٍّ يقيني، وهذا ما سأبيّنه لكم.

• **خلاصة الكلام في نقطتين:**

♦ **النقطة (1):** الآيّة 6 من سورة الحجرات {يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنياً فتبينوا..} هذه الآيّة تُعدُّ أساساً في أجواء البحث الحوزوي الأصولي الرجالي فيما يرتبط بالاعتماد على خبر الثقة أو عدم الاعتماد على خبر غير الثقة.

♦ **النقطة (2):** الثقافة الحوزويّة الدرسيّة البحثيّة - عبر ما شئت - هكذا تُربّي أتباعها وهكذا تُربّي طلابها وهكذا تُربّي الواقع الشيعي: بأن نقفز على المنطوق وأن نذهب إلى المفهوم..!

حتّى لو سلّمنا بأنّ الآيّة لها مفهوم.. فلماذا نقفزُ على المنطوق؟ أليس الأولى أن نبحتَ المنطوق بشكلٍ دقيق وأن تتمسّك به، وفي ذيله يأتي المفهوم؟! لماذا مباشرةً نتجاوز المنطوق ونذهب إلى المفهوم خلافاً للذوق الأدبي، وخلافاً لمنهج البحث العلمي، وخلافاً لمنطق علم الأصول الذي جيء به من النواصب والذي يُقرّ بأنّ: **حُجّة المنطوق أقوى من حُجّة المفهوم..؟! خلافاً لكل ذلك نُؤسّس ثقافةً بتراء مُدبرة لأنَّ إبليس يُريد منا أن نُثبتَ علم الرجال كي يكون بديهةً بين أيدينا مُزَقّ به أحاديث أهل البيت.. وهذا هو الذي يجري.**

وإلا فأنّا أسألُ طلبةَ الحوزة وأقول: لماذا تقفزون على المنطوق وتذهبون إلى المفهوم؟! أليس المنطوق هو الأولى أن تفقوا عنده؟!

المنطوق يقول: أنَّ الفاسق - الذي يُسمّيه الله فاسق، فهو فاسقٌ يقيناً بتقبيم الله - ومع ذلك فالآيّة تقول لا تردّوا خبره وإمّا تبيّنوا وتثبتوا وتحقّقوا.. لماذا لا يُربّي الواقع الشيعي على هذا المنطق؟

لماذا يُقال للشيعة أنَّ الفاسق لا نأخذُ بخبره..؟! والله تعالى بشكلٍ واضح في القرآن يقول خُذُوا خبر الفاسق إذا تأكّدتم منه.

لماذا تُعلّمون الناس شيئاً مُخالفاً لمنطق القرآن ومنطق العترة؟!

هذا الذي أقوله دائماً أنَّ هذا التشيع ليس تشيع الكتاب والعترة.. هذا تشيع المراجع والعلماء الذين غطسوا إلى عمائمهم في الفكر الناصبي.

علماً أنني لا أتحدث هنا عن النوايا، وإنما أقول: أن إبليس استحمر مراجعنا، ومراجعنا استحمرنا نحن.. ومَرَّت الأحاديث كيف أن إبليس يستحمرُ الشيعي، وبعد ذلك يطلب من بعض شياطينه - من الجن أو الإنس - أن يركبوا على ذلك الشيعي!!

★ عرض الوثيقة الديخية. للسيد كمال الحيدري: الشيعة حمير !!!!

مراجعنا يستحمرّون الشيعة، وإبليس يستحمرهم، مثلما قال رسول الله في الرواية المذكورة في تفسير الإمام العسكري والتي مرّ الحديث عنها في الحلقات المتقدمة. وهنا مصداق من مصاديق الاستحمار، حينما يُقْفَرُ على المنطوق وبعد ذلك يُتَقَفُّ الشيعة على المفهوم من أننا نقبل خبر الثقة من دون أن نُحَقِّق في خبر الثقة. مع أن الثقة ليس معصوماً لا يُخطئ ولا يكذب، ولا الفاسق دائماً يكذب..

الفارق بين الثقة والفاسق هو أن مساحة الصدق عند الثقة أوسع ومساحة الكذب عند الفاسق أوسع، وإلا فالفاسق يصدق في بعض الأحيان.. ولربما يكون الفاسق حينما يصدق في خبر من الأخبار يكون أكثر دقة من الثقة لو نقل ذلك الخبر.. لأن الثقة قد لا يمتلئك الدقة التي يتمتع بها ذلك الفاسق. وكذلك هناك احتمال أن يكذب الثقة - حتى لو كان ثقة، ما دام ليس معصوماً - فهناك احتمال أن يكذب.. فلماذا يُقبل خبره دائماً لمجرد أنه ثقة؟!

• عملية التثبت مطلوبة بالنسبة لأخبار الثقات وبالنسبة لأخبار غيرهم، ولكن غير الثقات عملية التثبت من محتوي أخبارهم مهمة جداً ومؤكدّة وواجبة في كثير من الأحيان، لأنه في بعض الأحيان الفاسق ينقل خبراً قيمة تصديقه موجودة في نفس الخبر.. فلا حاجة للتبين، لأن الخبر دال على نفسه بنفسه.

• {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنياً فتيّنوا..} هذا الآية هي جملة شرطية، تشتمل على شرط.

السؤال هنا: هل للشرط مفهوم؟ حينما يكون المنطوق بهيئة الشرط كما في هذه الآية، فهل للشرط مفهوم؟

الأصوليون النواصب والشيعة يختلفون في هذه القضية.. ولكن يمكنني أن أقول:

أن هناك شهرة تقول أن أسلوب الشرط له مفهوم، وأيضاً هناك وصف في نفس هذه الجملة الشرطية {إن جاءكم فاسقٌ} فهل للوصف مفهوم؟

بعبارة أخرى: ما هو المفهوم الذي سيظهر لنا حين نتحدث عن وصف هذا الذي جاءنا بالخبر؟! هل المفهوم الذي سيظهر: إذا جاءكم ثقة؟!

الذين قالوا بالمفهوم قالوا أن الذي يُقابل الفاسق هو الثقة.

حينما نعود إلى حديث أهل البيت ونُدَقِّق النظر فيه، قطعاً مع مقدّمة مهمة: أننا لا بد أن نفهم آيات الكتاب وأحاديث الأئمة في جو الفصاحة العربية.

• هناك مشكلة عند الأعم الأغلب من مراجعنا - الأموات والأحياء - وهي أنهم إما يعانون من انعدام الفصاحة أو من ضعفها إلى حد كبير.. وهذا واضح إن كان ذلك في كتبهم أو كان ذلك في حديثهم ومنطقهم.

هناك مشكلة واضحة عند علمائنا ومراجعنا في قضية الفصاحة، وهذا أدل دليل على أنهم لا يُمثلون الإمام الحجة بشكل مباشر.. لو كانوا نواباً من قبل الإمام الحجة لتحلوا بشيء من الفصاحة التي هي أبرز صفاته وملامحه.. ولذلك لا شأن لي بما يقولون.

علينا أن نفهم آيات الكتاب وأحاديث العترة في أجواء الفصاحة العربية (وحيث تحدثت عن أجواء الفصاحة العربية إنني أتحدثت عن اللغة، وأتحدثت عن الهيئات والتراكيب في بناء الجمل، وأتحدثت عن الأساليب الأدبية في التعبير.. فهذه فصاحة العرب.. ولابد أن يضاف إليها فصاحة محمد وآل محمد.. لأننا نتحدث عن آياتهم وعن أحاديثهم، وهذا الأمر لا ينشأ إلا من خلال المعاشاة الطويلة مع آياتهم وأحاديثهم خصوصاً فيما يرتبط بالأحاديث التفسيرية، لأن الأحاديث التفسيرية حينما تُمازجها مع آيات الكتاب الكريم نستطيع أن نتلمس تلك الفصاحة العجيبة والتي تتناغم ما بين تعابير القرآن وتعابير العترة الطاهرة، وهذا الأمر يفتقر إليه مراجعنا جميعاً.. لأن مراجعنا غرّ بهم إبليس وخدعهم وضحك على ذقونهم حينما علّمهم "علم الرجال" فدمروا الأحاديث التفسيرية فرجعوا إلى القرآن لوحده على الطريقة العنصرية "حسبنا كتاب الله"، وفهموا الآيات بهذه الطريقة بعيداً عن الروايات، لأن الروايات بحسب قذارات علم الرجال الناصبي هذه الروايات ضعيفة. وهكذا سخر إبليس منهم.. فعزلوا ما بين آيات الكتاب وبين الأحاديث.

ولم يطيلوا الوقوف كثيراً عند أحاديث أهل البيت لأنها ضعيفة، وأمّا الزيارات والأدعية فكتبهم خلية منها أبداً.. وهم أكثر الناس جهلاً بمعارف الأدعية والزيارات، والواقع شاهد على ذلك.. فالذين حاولوا أن يشرحوا أو أن يكتبوا، وشرحوها مهزلة ومسخرة. فحينما نريد أن نفهم آيات الكتاب وأحاديث العترة لابد أن نفهمها في أجواء الفصاحة العربية، وفي أجواء الأفصح كما يقول سيّد الكائنات (أنا أفصح من نطق بالضاد).

فعلياً أن ندرس آيات الكتاب وأحاديث العترة في هذه الأجواء (في أجواء فصاحة العرب، وفي أجواء فصاحة محمد وآل محمد)

• إذا درسنا هذه الآية 6 من سورة الحجرات، هنا نحتاج إلى معرفة هل أن للشرط في هذه الآية من مفهوم.. وهل أن للوصف في هذه الآية من مفهوم؟ ما يتجلى لي من خلال العوص في آيات الكتاب وفي أحاديث العترة الطاهرة.. في ضوء فصاحة الكتاب والعترة الشرط في بعض الأحيان إذا كان منطوقاً كما في هذه الآية قد يكون له مفهوم، وقد لا يكون له مفهوم.. وكذلك الوصف. فنحن لا نستطيع أن نُثبت المفهوم للوصف مطلقاً وكذلك لا نستطيع أن ننفي المفهوم عن الوصف مطلقاً.. وكذلك الشرط.. علينا أن ندرس كل حالة بحالتها، وهذا ينسجم بشكل كامل مع فصاحة العرب ومع فصاحة محمد وآل محمد. حينما يكون الكلام بهذا الحال قد يكون له مفهوم وقد لا يكون، وكذلك الكلام مع الوصف.

• أسلوب الشرط حينما يكون واضحاً بيناً في مفرداته وأجزائه فإن هذا الشرط حينئذ يكون له مفهوم.

● (وقفة توضيح لهذه الفكرة من خلال بعض الأمثلة من آيات الكتاب الكريم وأحاديث العترة الطاهرة تُوضّح مُرادٍ من أن مفردات الشرط وأجزائه تكون واضحة في بعض الجمل الشرطية).

هذه الأمثلة أطرحها لأجل أن أطبق - بعد التدقيق في هذه الأمثلة - أطبق هذا الموضوع على الآية 6 من سورة الحجرات "آية النبأ" وأطرح هذا التساؤل وأقول:

هل مُفردات "أسلوب الشرط" واضحة هنا في الآية 6 من سورة الحجرات كوضوحها مثلاً في المثال الذي وقفتُ عندهُ في سورة البقرة في الآيات المرتبطة بأحكام الصوم؟! المفرداتُ في "آية النبأ" غير واضحة، لأنَّ مُفردة "الفاسيق" ليست واضحة.. فإننا لا ندري ما المراد من الفاسق في الآية حتَّى نعرف ما يُقابل هذه المُفردة بشكل واضح.

هذه الكلمة "الفاسيق" لها أكثر من معنى في الكتاب الكريم.. فهل المراد من "فاسيق" هو مثلاً جاء في الآية 18 من سورة السجدة مثلاً: {أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}. فهنا الفاسق في سورة السجدة هو مواجهة المؤمن.. فهل المراد من الفاسق في سورة الحجرات هو في مواجهة المؤمن.. فيكون المفهوم للآية يعني إذا جاءكم مؤمنٌ بخبرٍ فلا تتبينوا..؟! صحيح أنه وردَ عندنا أنَّ المؤمن لا يكذب، ولكن هل كلٌّ من ينطبق عليه وصفُ المؤمن يُمكن أن يكون ثقةً؟! - إلا إذا كان المراد من الوصف بالشكل الحقيقي - (علماً أنَّه في رواياتنا أنَّ المراد من المؤمن في هذه الآية {أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} بحسب أحاديث أهل البيت هو أمير المؤمنين.. ولكنني لستُ بصدد الوقوف عند الآيات وعند كلِّ التفاصيل.. وإِذَا أَقَفَ عند المعنى الإجمالي العام).

• في سورة الكهف في الآية 50: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ} عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دُوني وهم لكم عدوٌ باتس للظالمين بدلاً. إِبْلِيسَ فاسق، فهل المعنى المراد من الفسق الموجود في "آية هو فسق إِبْلِيس؟
• هل الفسق الذي ذكر في آية "آية النبأ" هو الفسق الذي جاء في الآية 47 من سورة المائدة: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} علماً أنَّ هؤلاء الفاسقين هم أنفسهم الذين ذكروا في الآية 44 من سورة المائدة: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} وهم هم الذين ذكروا في الآية 45 من سورة المائدة: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}
• وفي الآية 49 من سورة المائدة: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}

أنا جنْتُ بهذا أمثلةً وغماذج فقط.. أمَّا إذا أردتُ أن أستمرَّ مع آياتِ الفسق في القرآن فالمعاني ستكون كثيرة جداً.

● سأعودُ للآية 6 من سورة الحجرات وهي "آية النبأ": {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..} الفاسق صورته ليست واضحة هنا.. ما المراد من الفاسق حتَّى نجعل له مفهوماً؟ غاية ما نعرفه من التراكيب اللفظية من المنطوق أنَّ المراد من الفاسق هو الذي لا يُؤمن ولا يُمكن أن يُصدق في كلِّ ما ينقل، وإِذَا قَدَ يَكُونُ صادقاً.. ولذلك الآية أمرت بالتبين.
لا نستطيع أن نضع بالدقة ما هو المفهوم الذي يُقابل هذا المنطوق.. وفي نفس الوقت إذا أردنا أن ننظر إلى هذا الشرط فإنَّ الشرط ليس واضحاً.. فإنَّ صورة الفاسق ليست واضحة.. هل هو مُسلمٌ فاسق؟ هل هو كافرٌ وظالمٌ مثلاً جاءت الآيات في سورة المائدة..؟! هل هو مُنافق؟ لأنَّ القرآن عبَّرَ عن المُنافقين أنَّهم فاسقون..

صورة الفاسق هنا ليست واضحة.. فإنَّ الناطق بها لا يُريد لها مفهوماً، وإِذَا يُريد أن يقول لنا:

أَنَّ الْفَاسِقَ هُوَ الشَّخْصَ الَّذِي لَا يُؤْتَمَنُ نَقْلُهُ، فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَدِّقَ بِمَا يَنْقُلُ.. هذا هو الفاسق، ولذلك ليس له مفهوم.. ولذلك هذه الصفة هنا ليس لها مفهوم بحسب الآية. بل إننا إذا ذهبنا إلى الروايات والأحاديث التي تتعلَّقُ بالواقع التاريخي للمجريات التي بسببها نزلت هذه الآية، فإنَّ الأمر سيَتَضَحُّ بشكلٍ واضحٍ جداً أنَّ الآية ليس لها مفهوم إطلاقاً. أمَّا هذا الذي بُنيَ عليها من أنَّ لها مفهوم، هذا كلامٌ شيطاني لأجل تثبيت علم الرجال، لا أكثر من ذلك.

● حتَّى موضوعُ (التبين) في قوله تعالى "فتبينوا" يحتاج إلى بحث، كيف نتبين؟!
كلُّ المفردات في "آية النبأ" ليست واضحة إلى حدٍّ بعيد.. هي واضحةٌ بالمُجمل، ولكننا حين نُعايش حديثَ أهل البيت وحين تُمارسُ العِلْمُ وفقاً لِمَذَاهِبِهِم تتَضَحُّ الصورة.

• **النزول الأول لآية النبأ:** الآية 6 من سورة الحجرات، تعدَّد نزولها.. نزلت في واقعة مُهمَّة جداً، في واقعة حديث الإفك - بحسب ما جاء في روايات أهل البيت، لا بحسب ما جاء في كُتب النواصب - ففي روايات أهل البيت **عائشة** كانت قد اتهمت مارية القبطية وقالت أنَّ إبراهيم الذي هو ابنُ رسول الله، قالت عنه أنه ليس من رسول الله، وقالت ذلك لرسول الله صريحاً.. وإِذَا هُوَ مِنْ جُريجٍ أو جُريجٍ الذي هو خادمٌ جاء معها من مصر. وساعد عائشة في هذا الاتهام أبوها وحفصة وعمر بن الخطاب، وجاءوا وأخبروا رسول الله بذلك.. فالنبيُّ "صلى الله عليه وآله" تعاملَ مع حديثهم هذا بهذه الطريقة: أنه قبل حديثهم وأرسل أمير المؤمنين كي يقتل جُريجاً هذا.

• وقفة أقرأ عليكم فيها ما جاء في حادثة قذف عائشة لمارية القبطية في [تفسير البرهان: ج7] والرواية منقولة عن تفسير القمي:
(أنها - أي الآية 6 من سورة الحجرات - نزلت في مارية القبطية أم إبراهيم، وكان سبب ذلك أنَّ عائشة قالت لرسول الله "صلى الله عليه وآله": إنَّ إبراهيم ليس هو منك، وإِذَا هُوَ مِنْ جُريجٍ القبطي فإنه يدخل إليها في كلِّ يوم. فعَضِبَ رسولُ الله وقال لِأَمير المؤمنين: خُذْ هَذَا السِّيفَ وَأَتْنِي بِرَأْسِ جُريجٍ. فأخذ أمير المؤمنين السيف، ثم قال: بَأَيِّ أَنْتِ وَأَمِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ إِذَا بَعَثْتَنِي فِي أَمْرٍ أَكُونُ فِيهِ كَالسَّفُودِ الْحَمِي فِي الْوَبَرِ - أَيِ السَّيْخِ الَّذِي يُشَوَّى بِهِ اللَّحْمُ - فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي، أَتُبَيِّنُ فِيهِ أَمْ أَمْضِي عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: بَلْ تَتَّبِعُ...)
• قول الرواية: (فكيف تأمرني، أَتُبَيِّنُ فِيهِ أَمْ أَمْضِي عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: بَلْ تَتَّبِعُ).

إِذْنِ التَّتَبُّعِ يَكُونُ حَتَّى فِي خَبَرِ الثَّقَاتِ، فَهَذَا خَبَرُ رَسُولٍ، فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لِأَمير المؤمنين خُذْ هَذَا السِّيفَ وَأَتْنِي بِرَأْسِ جُريجٍ اعْتِمَاداً عَلَى مَا نَقَلْتُ عَائِشَةَ.. فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ تَعَامَلَ مَعَ خَبَرِ عَائِشَةَ وَأَبِيهَا وَحَفْصَةَ وَأَبِيهَا عَلَى أَنَّهُ صَحِيحٌ.. فَبَعَثَ أَمير المؤمنين، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: **تَتَّبِعْ**.

هذا التَّتَبُّعُ - إِنَّ كَانَ بِخُصُوصِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ - فَهَلْ هُنَاكَ أَوْثَقُ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ؟! وَلَكِنْ النَّبِيُّ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِينَا دَرْساً..
وإنَّ كَانَ التَّتَبُّعُ مِنْ خَبَرِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَالنَّبِيُّ تَعَامَلَ مَعَهُمْ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّ خَبَرَهُمْ صَحِيحٌ وَأَنَّهُمْ ثِقَاتٌ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ أَمير المؤمنين بالتَّتَبُّعِ.. وَأَحْكَامُنَا كُلُّهَا عَلَى الظَّاهِرِ، وَسِيرَةُ النَّبِيِّ هُنَا هِيَ سِيرَةُ لَنَا لَا أَسَاسَ حَقَائِقِ عِلْمِهِ "صلى الله عليه وآله" وَإِذَا عَلَى أَسَاسِ سِيرَةٍ عَمَلِيَّةٍ يُفْتَدَى بِهَا..

ولذا أمير المؤمنين أكمل وبين ما يُريده رسولُ الله، فإنَّ كمالَ دين رسول الله بعليٍّ.. وهذا مصداق واضح أنَّ كمال دين رسول الله وكمال أحكام رسول الله بعليٍّ. وفي رواياتٍ أخرى أنَّ رسول الله أمر أمير المؤمنين بالتثبت لأنَّ الشاهد يرى ما لا يراه الغائب.

• **النزول الثاني لآية النبأ**، كان في حادثة الوليد بن عُقبة ابن أبي معيط.. الوليد بن عُقبة أرسله النبيُّ في شأنٍ إلى بني خُزَيْمة، وكان فيما بينه وبين بني خُزَيْمة قبل الإسلام كانت هناك ثارات، مشاكل.. فلما سمع بنو خُزَيْمة بأنَّ رسولاً جاء من رسول الله خرجوا لاستقباله.. والوليد بن عُقبة لم يكن قد تعود على الاستقبال والتكريم، فهو إنسان حقير فاسق (وقفة قصيرة تُبين نماذج وضور من فسقه وحقارته). فلما خرج بنو خُزَيْمة لاستقبال الوليد بن عُقبة خاف منهم، تصوّر أنَّ القوم جاءوا يطلبون ثاراتهم، فخرج فاراً إلى المدينة، وقال لرسول الله: إنَّ بني خُزَيْمة قد كفروا وارتدّوا عن الإسلام.. فنزلت هذه الآية: {يا أيُّها الذين آمنوا إنَّ جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا أن تُصيِّبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} الوليد بن عُقبة إنسان فاسق وفاجر، والقرآن فسّقه مرتين: مرّة في سورة الحجرات "آية النبأ".. وفسّقه أيضاً في سورة السجدة في الآية 18: {أَقْمِنَ كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ}

فالفاسق في هذه الآية من سورة السجدة هو الوليد بن عُقبة، والمؤمن هو أمير المؤمنين "صلواتُ الله وسلامه عليه".

• فآية النبأ.. لا علاقة لها فيما تفهّم فيه في أجواننا الحوزويّة، فهذا الفهمُ فهمٌ شيطانيٌّ لأجل تثبيت علم الرجال.. الآية صريحة وواضحة، إنّها تتحدّث عن الجهة التي تُخبر، إذا كانت هذه الجهة فاسقة فعلياً أن نتثبت، وحتى لو كانت الجهة التي تُخبر موثوقة - إذا جمعنا بين الآيات والروايات - فإنَّ علينا أن نتثبت.. إلّا إذا كان الأمر ثابتاً سواء كان هذا الإخبار من ثقة أو من غير ثقة، فإنَّ بعض الأخبار ثابتة بنفسها، تدلُّ على نفسها بنفسها، لا حاجة فيها للتثبت والتّبين.

• إذا أردنا أن نفهم الكتاب الكريم بحسب منطق أهل البيت فهذا هو الفهم.. أمّا إذا أردنا أن نفهم الكتاب الكريم مثلاً يقومُ مراجعنا فيما يُسمّى بعلم الأصول الناصبي، ويقومون بفهم الآيات والروايات وفقاً لطريقة الشافعي والغزالي والفخر الرازي وأمثال هؤلاء، فهناك سياقٌ آخر.

فآية النبأ منطوقٌ فقط، ومنطوقها واضح هو لإلغاء علم الرجال وإلغائه في المزيلة.

● وقفة عند حديث آخر للإمام الصادق "عليه السلام" في [الكافي الشريف: ج1]

(عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسولُ الله "صلى الله عليه وآله وسلّم" إنَّ على كلّ حقيقة وعلى كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه).

هذا هو منطقُ أهل البيت، الحقائق تحمل قيمتها في نفسها، كلّ حديثٍ يحمل قيمته في نفسه.. (كلامكم نور). هذا هو منهجُ أهل البيت، لا علاقة له بعلم الرجال.. لاحظوا أولاً قول الرواية: (إنَّ على كلّ حقيقة وعلى كلّ صوابٍ نوراً) الأحاديث نستطيع أن نستدلَّ عليها من خلالها، فحينما لا نستطيع أن ندرّك ذلك لسببٍ من لأسباب (إمّا لنقصٍ في معلوماتنا، إمّا لغفلةٍ في عقولنا، إمّا لقلّة ذكائنا، إمّا لقلّة ما نحفظه من ثقافة أهل البيت، وإمّا لانعدام فصاحتنا..)

فإنَّ الأساس في الفهم هو الفصاحة، فنحنُ نحتاجُ إلى فصاحةٍ وإلى أدبٍ راسخٍ في فهم حديث أهل البيت؛ لأننا نتحدّث عن أفصح الخلق وعن أكثر الخلق أدباً وفهماً.. إنّنا نتحدّث عن مُحمّد وآل مُحمّد، حتّى وإن كان حديثهم وكلامهم بحسب قانون المدارة، ولكن مع ذلك يُحدّثوننا بحسبنا ولكن بأبلغ وأجمل وأعمق الأساليب - إن كان ذلك في آيات الكتاب أو في أحاديثهم - وإذا كان هناك من خلل فإنَّ الخلل من الرواة والناقلين، من النسخ، أو من أصحاب المطابع في عصرنا.

• **هذا هو المنهج**: أحاديثُ أهل البيت دالّة على نفسها بنفسها إذا نُقلت لنا بنفس الألفاظ وببنفس المعاني وبنفس الترتيب.. وعندنا عددٌ كبير جدّاً من النصوص نُقلت بنفس الألفاظ وبنفس المعاني وبنفس الترتيب كالأدعية والزيارات التي يُضعفها علماؤنا ومراجعنا من خيبتهم ومن سوء حظهم وقلّة علمهم.. فإنَّ الأدعية والزيارات، وكذلك خطبُ نهج البلاغة لسيد الأوصياء تدلُّ على نفسها بنفسها وفقاً لمنهج رسول الله، بينما هم يتعاملون معها وفقاً لمنهج إبليس (وهو منهج علم الرجال). وكذلك كلماتُ أمير المؤمنين القصار وهي بالآلاف دالّة على نفسها بنفسها.. الكثير من أحاديث أهل البيت دالّة على نفسها بنفسها.. هذا هو منهج أهل البيت.

نحنُ ننزك هذا المنهج الواضح الصريح، ونذهب نبحث في كُتب مهلهلة مُحرفة لا ندري كيف وصلت إلينا ولا ندري من أين جاءوا بهذه المعلومات التي فيها، ثمَّ نحكم على حديث أهل البيت من دون أن نتبصر فيه.

أساساً علماؤنا لا يملكون ذائقةً لتذوّق حديث أهل البيت لأنهم ليسوا على تواصلٍ دائم مع حديث أهل البيت، هم على تواصلٍ دائم مع كُتب العلماء التي هي خلية من أحاديث أهل البيت. يقضون حياتهم في أحكام الطهارة والنجاسات والصلاة والصيام، وحتى في هذه الأبواب لا يُوردون كلّ الروايات، بل لا يُوردون الرواية كاملة، وإمّا يأخذون منها جملة، أو يأخذون منها في بعض الأحيان كلمتين فقط.

• إذا لم نستطع أن نتلمّس ذلك النور الذي يُشرق من حقائق كلامهم، ولم نستطع أن نتلمّس تلك القيمة المعرفيّة في حديثهم فإننا نعود إلى قاعدة المعلومات وهو المصحف الشريف.. نفهمه بحديث أهل البيت.

● **وقفة عند إشكال إبليسي يُلقيه الشيطان في أذهان المراجع وهو**: أنّه إذا كنّا نفهم القرآن بحديث أهل البيت، ونعرض حديث أهل البيت على القرآن فهذا دور.